

التركيبة القبلية للجيش المغربي في العهد الموحي

د/ توفيق مازري عبد الصمد

قسم التاريخ، جامعة الدكتور يحيى فارس - المديّة

مقدمة :

أنشأ الموحدون جيشاً محكم التنظيم سعياً منهم لبسط نفوذهم على بلاد المغرب والأندلس، ولما كانت حدود دولتهم واسعة الأرجاء، وكثر من حولهم الأعداء، فقد اضطروا في كل مرحلة من مراحل حروبهم إلى زيادة عناصر جديدة في تنظيماتهم العسكرية دون أن يمنعهم ذلك من إدخال حتى العناصر الأجنبية والمتنوعة في هذا الجيش والتي يمكن أن نجملها في ثلاث مجموعات.

- المجموعة المحلية من القبائل الأمازيغية المغربية.

- العناصر العربية من البدو الرحل.

- الفرق الأجنبية الأخرى.

القبائل المحلية: يذكر المراكشي أن الجيش الموحد تكون من سبع قبائل مغربية¹، وخاصة مكن العناصر الساكنة بـجبال الأطلس الأعلى المغربية، وهي قبائل المصامدة التي شكلت أول جيش جهزه المهدي بن تيمرت سنة 517هـ للإطاحة بالمرابطين².

وتعتبر قبيلة "هرغة" وهي بطن من المصامدة أول نواة للجيش الموحي باعتبارها القبيلة التي ينتمي إليها المهدي، فلجأ إليها حتى يكون في منعة من قومه، يقول ابن خلدون: "وفي سنة خمس مائة وخمسة عشر هجري، نزل المهدي على قومه من بلاد هرغة وبنى رابطة للعبادة، واجتمعت إليه الطلبة والقبائل فأعلمهم المرشدة والتوحيد باللسان البربري"³. وقد استعمل المهدي العقيدة المهدوية كوسيلة لتجنيد هذه القبائل، مدعياً أنه سيملاً الأرض عدلاً بعد أن امتلأ تجوراً⁴، فدخل أهل هرغة في أمره كلهم، ومنعوا عنه خطر المرابطين⁵.

وعندما طارده الأمير علي بن يوسف المرابطي وسرح الخيالة في طلبه، نقل المهدي هؤلاء إلى معقل امتنانهم، ثم بايعوه على التوحيد وقتال المجسمين، وقاتلوا من داخل في أمره، وكذلك لما زحف عامل المرابطين في سوس أبو بكر للمتوني، تحالفت هرغة مع جيرانها من القبائل المصامدة وأوقعوا بعسكر ملتوة، فكانت بداية الانتصار.⁶

ورغم إسهاب المصادر في إطراء دور هرغة في الحركة الموحدية، لكنها لم تذكر تعدادها في الجيش الموحي، ومما لاشك فيه أن عددها قليل، وهذا ما يفسر استجاشها ببقية المصامدة في قتال أبي بكر للمتوني والإيقاع به⁷. وقد أدرك المهدي أن قبيلة هرغة وحدها لا يمكنها تجسيد طموحاته السياسية والعسكرية الواسعة، فبادر إلى تجنيد بقية المصامدة في جندة معتمد الوسائل المناسبة في كل مرة، فاختار مثلاً أصحابه العشرة وأهل شورته⁸، من هذه القبائل المختلفة بهدف تأليفها⁹.

فكانت هنتانة وهي قبيلة ضخمة على حد تعبير المراكشي¹⁰، محل ثقة المهدي وشبكات الملاحع القيادية الأولى لجندهن وذكرها ابن خلدون بقوله : "هؤلاء المصامدة بجبال درن- موطن هنتانة- لا يزال أمرهم عظيماً وجماعتهم موفورة وبأسهم قويا، حتى أن المرابطين اختلوا مدينة مراكش بجوار موطنهم مكن درن ليتعرسوا بهم، وبنلوا من صعايهم¹¹. ثم انتقل المهدي إلى جبال تتمل¹²، وانضمت إليه القبائل التي يجمعها ذلك الموضع فكثرت جندة، وقويت شوكته، يقول ابن صاحب الصلاة : "كان الموحدون من أهل تمللهنتانة أقر الجنود صبرا في الحرب"¹³.

ولعل هذا ما دفع المهدي إلى تغيير أسلوب دعوته بعد انضمام هذه القبائل القوية لمسكركه فأخذ يقاتل من تخلف عن بيعته¹⁴، وضم بقية المصامدة عنوة، فزحف على هرزة حتى دانا بالطاعة، ثم غزا هسكورة وأثخن فيهم قتلا وأسرا، ثم عجدامة، وجنيفسة وبذلك انضافت هذه القبائل وشكلت جيش الموحدين الذي سرحه المهدي لقتال المرابطين.

الزناتية، ورغم معارضة قبائل المصامدة رتبهم في الطبقة الثانية²³، مع قبيلة تينمل، وجعل منهم بطانته وحرسه الخاص يركبون خلف ظهره، ويمشون بين يديه إذا خرج، ويقومون على رأسه إذا جلس²⁴.

ولما زحف عبد المومن على تلمسان جعل زناتة في مقدمة الجيش بقيادة الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى، ويحيى بن مانوا الزناتي، فتقدموا إلى بلاد بني يلومي، وبني عبد الواد وسيني وسطيف وبني توجين، وأثخنوا فيهم حتى دخلوا في دعوتهم²⁵.

وانظم إلى جيش عبد المومن بعد دخول مراكش بعض المرابطين خاصة من قبيلة مسوفة²⁶، وصروا يمثلون جزءا من جنده²⁷، وبعد فتح بجاية اندمج ضباط الجيش الحمادي من العناصر الصنهاجية في الجيش الموحي²⁸.

والخلاصة كان الجيش الموحي يتكون من القبائل المغربية التالية: قبائل المصامدة السبع وهي (هرغة، تينمل، هسكورة، عجدامة، هزرجة، جنفيسة وهنتانة). والعناصر الزناتية، وخاصة قبيلة كومية التي ينتمي إليها عبد المومن بن علي الندرومي. العناصر الصنهاجية من بقايا المرابطين وخاصة قبيلة مسوفة.

العناصر العربية من البدو الرحل : بدأ اتصال الموحيين بالعرب في وقت مبكر، وربما يعود ذلك إلى إدراك المهدي بن تومرت لأهمية القبائل العربية الكثيرة في الصراع العسكري مع المرابطين، حيث اتصل المهدي أثناء اجتيازه بلاد المغرب بعد عودته من المشرق "بالثعالبة" عرب الجزائر الذين كانوا أول القبائل التي ناصرت الدعوة الموحدية، وأهدت له حمارا فارها يركبه²⁹، حيث أنه كان يسعى على قدميه، وأهداء المهدي بدوره لعبد المومن كرمز أنه خليفته من بعده.

وقد حاول الموحدون إثبات الأصل العربي لدولتهم، فأطلقوا على عبد المومن كنية القيسي بدلا من الكومي³⁰، ونجد شعراء الموحيين يدعونهم بأبناء العم ويذكرونه بصلة النسب ووشاج القربى التي تجمع الموحيين مع العرب في

وقسم المهدي الجيش إلى طبقات عشر على أساس قبلي وإخلاص الولاء، ولكل طبقة من خذه الطبقات مكان خاص وقت السلم والحرب وحين السير وإقامة المعسكرات¹⁵، وهكذا تكون جيش المهدي من قبائل المصامدة السبع، وبلغ تعدادهم في معركة البحيرة زهاء أربعين ألفا سنة 524هـ¹⁶.

لكن بعد وفاة المهدي 524هـ¹⁷، أراد خليفته عبد المومن جعل الحكم وراثيا في ذريته، ولذلك أعدم المتمردين من قرابة المهدي وخاصة القائد "بصلاتي بن المعز الهرغي" الذي حقد على عبد المومن في إسناد ولاية العهد لابنه، وقتل أخوي المهدي، وكان ذلك سببا في الثورة عليه، ومجاهرة الكثير من الموحدين المصامدة باستتكارهم من أعماله، بل غالى بعضهم وفكر في اغتياله، وربما تعرض لمحاولة اغتيال حسب بعض المصادر¹⁸.

ومن أجل هذا لم يجد عبد المومن مناصا إلا العمل على استقدام قبيلته "كومية" من الجزائر ليحمي بها ظهره¹⁹، لعدم وجود حرس خاص له أو من يطمئن له من قبيلته²⁰. ويروي صاحب روض القرطاس قصة استقدامهم: "أخذ عبد المومن يتصل بزعماء قبيلة كومية سرا، واتفق معهم على أن يقدموا عليه بمراكش، وأن يركب كل من بلغ الحلم منهم، وأن يأتوا في أحسن زي وأكمل هيئة وعدة، وبعث إليهم الأموال الطائلة والكسي الفاخرة، فاجتمع منهم أربعون ألفا²¹، ثم أقبلوا على عبد المومن بمراكش للخدمة بين يديه وشد أزره، فارتاع أهل المغرب لدخوله المفاجئ، وقد تجاهل عبد المومن وأبدى دهشته لمجيئهم، وأخذ يستفسر عن سبب قومهم، ثم أمر الشيخ أبا حفص عمر الهنتاني، أن يخرج إليهم ليتعرف أخبارهم وعند لقائه إياهم سألهم: أسلم أنتم أم حرب؟ فقالوا: بل نحن سلم، نحن قبيلة أمير المؤمنين عبد المومن بن علي الكومي، نحن كومية زناتيون.

فأمر عبد المومن قبائل الموحدين أن تستقبلهم وأن تحتفل بهم فكان دخولهم مراكش من أعياد عبد المومن، ثم رتبهم في المرتبة الثانية بين القبائل الموحدية²². وهكذا كان دعامة لجيش عبد المومن أربعون ألف من قبيلة كومية

قيس وعيلان³¹. ولعل ما دفع الموحيدين إلى الحرص لتجنيد هؤلاء الهلالين في صفوف جيشهم عدة عوامل :

أ- الحاجة إلى جحافل هؤلاء العرب في حروب الأندلس، يقول ابن صاحب الصلاة: "ويألف العرب الذي جلبهم عبد المومن لجماعته، وأن يكونوا من حملة أجناده وأعوانه، لما أمله في غزو الكفر وكسر صلبانه"³².

ب- استغلال شجاعتهم وكثرتهم في القتال، وحيلهم كما ذكر ابن صاحب الصلاة³³، لذا كانوا يستشيرونهم في لقاء النصارى، لأنهم كانوا يحسنون على الأرض المنبسطة، فعندما استشارهم يعقوب مرة في لقاء النصارى: "قالوا إن حربهم تحتاج إلى انفساح في الأرض حيث يروحون وينصرفون في الطول والعرض"³⁴. ولا أدل على مقدرتهم القتالية ودورهم في إضعاف السلطة الزيرية بإفريقية، وتحضير الأرضية للموحيدين دون أن يقصدوا ذلك³⁵.

وكان عبد المومن أول أمير موحيدي يجلب العرب ويدخلهم في جيشه، ولم يكن ذلك بالمر السهل، فقد احتاج إلى مواجهات عديدة معهم حتى أذعنوا للطاعة. في سنة 541هـ/1146م غزا عبد المومن بلاد المغرب الأوسط فوفد عليه عربها من الأثيج وجشم مبايعين³⁶، واستولى على بجاية وطرقت جيوشه أبواب إفريقية.

هذا ما جعل عرب إفريقية يخشون على استقلالهم الذاتي، فتحالفوا مع صنهاجة إفريقية، واستغلوا خلافا وقع بين قائدي القوات الموحدية وهما يصلان بن المعز، وعبد الله بن وانودين صهر عبد المومن، وانسحاب يصلان وتركه عبد الله في قلة من جنده، فهاجموا وأسروه، ثم قتلوه وحاصروا القيروان³⁷. ولما بلغ عبد المومن ذلك غضب وأرسل إليهم جيشا بقيادة ابنه عبد الله، وبعث جيشه مددا لابنه حتى لم يبق معه إلا الخاصة والسوقة، فبلغ تعداده ثلاثين ألف فارس، واجتمعت القبائل العربية من الأثيج وزغبة ورياح وبنوقرة بقيادة ملكهم يحي بن عبد العزيز، وأراد صاحب صقلية "روجار" أن يمددهم بخمسة آلاف فارس، لكن العرب رفضوا نجده وقالوا لا يستعان بكافر على مسلم³⁸.

والتقى الفريقان بناحية سطيف في صفر 548هـ/1152م، فانهزم العرب الهزيمة المنكرة، وتركوا نساءهم وذخائرهم، ولما وصل عبد المومن إلى مراكش وفد عليه رؤساء قبائل العرب³⁹، فرد عليهم نساءهم وأولادهم، ومنحهم أموالا جزية، فاستألف قلوبهم وضمن ولاءهم، وصرفهم إلى بلادهم⁴⁰ ولكن رغم ذلك لم يأمن عبد المومن شر تلك الإمارات العربية، ووجه جيشا من الموحيدين والعرب ففتح تونس، وحاصر المهدية وفتحها في سنة الأخماس على حد تعبیر الزركشي 555هـ، بعد أن طرد النورمان الذين كانوا يحتلونها، ويشددون آذانهم على المسلمين، ثم أرسل ابنه لتصفية الإمارات العربية التي تأسست وتمتعت بالاستقلال الذات على حساب الدولة الصنهاجية المنشرة⁴¹، وبذلك أدخل هؤلاء العرب في طاعة الموحيدين.

لما فرغ عبد المومن من أمر المهدية أراد استغلال كثرتهم وشجاعتهم في الأندلس: "فجمع أمراء العرب من بني رياح الذين كانوا بإفريقية، وقال لهم قد وجبت علينا نصره الإسلام، وما يقاتلهم أحد مثلكم، فبكم فتحت البلاد أو الإسلام وبكم يدفع عنها العدوان الآن، ونريد منكم عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة يجاهدون في سبيل الله⁴². ولما خشى تمردهم أحضر أمراءهم وأحلفهم على مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه على السمع والطاعة والسير معه إلى الأندلس لقتال العدو⁴³، ولكن محاولته فشلت لأن العرب أدركت أن غرض عبد المومن هو إخراجهم من أرضهم، فلما وصلوا إلى جبل زغوان⁴⁴، خذلوه وهربوا ليلا إلى عشائرتهم ودخلوا البادية، ولم يبق منهم إلا يوسف بن مالك وهو من أمرائهم، فسماه عبد المومن "يوسف الصادق"⁴⁵.

ولما بلغ عبد المومن نكتهم للعهد لجأ إلى طريقة أخرى لضمان طاعتهم، فتريص لهم في موقع قرب قسنطينة يقال له "واد النساء" ولما علم برجعهم بعدما أنسوا جانبه وسكنوا البلاد، أرسل إليهم ثلاثون ألف مقاتل من أعيان الموحيدين فهزهم وأسر حريمهم ثم جهزهم إلى ثغور الأندلس على الأول. وقرر بعد ذلك نق ألفا من كل قبيلة بعيالهم إلى المغرب، من عرب رياح وبني جشم وبني عدي،

وكانوا من الكثرة حتى "ضاقت بهم الفضاء، وناقصوا الحصى و الذباب في كثرته" كما وصفهم ابن صاحب الصلاة⁴⁶. هدف بذلك إبعادهم عن إفريقية و توطيئهم بغرب عاصمته مراكش، حتى يراقبهم عن كثب و قرب. وبقي عبد المومن حريص على تجنيد العرب خاصة في حروبه الأندلس حتى أواخر أيامه، إذ نجده يوصي بنيه و ولاة عهده⁴⁷، أن يعملوا على نقل عرب إفريقية إلى السواحل الأطلسية لانقاء تمردهم والاستفادة منهم في حروب الأندلس⁴⁸.

لذا تواصل تجنيد العرب في عهد أبي يعقوب يوسف 558 - 580 هـ وكان أعرف الناس بكلام العرب مما ساعده على مبايعة رؤساء القبائل العربية، واستمر على سياسة والده في استخدامهم والاستعانة بهم في الأندلس.

وفي سنة 565 هـ اشتد أذى ابن مردنيش في الأندلس، واستولى على أشبيليا فاستدعى أبو يعقوب العرب من إفريقية، وخاطبهم بقصيدة يحرضهم فيه على الجهاد، ويستقربهم بالقرب قي قيس و عيلان، والقصيدة من قول ابن طفيل⁴⁹، ومطلعها :

قيموا صدور الخيل نحو المغرب لغزو الأعادي واقتناء الرغائب⁵⁰

ولما تأخر العرب خاطبهم بقصيدة ثانية يذكر فيها نيته العازمة على الجهاد، وهي من إنشاء ابن عياش⁵¹ :

أقيموا إلى العلياء عوج الدواجل وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل

وقوموا لنصر الدين قومة ثائر وشدوا على العداء شدة صائل

ولما وصلت إلى العرب بنظر إفريقية والزاب هاتان القصيدتان وما فيها من تحريض على جهاد الكفار أجابوا⁵² إلى الطاعة⁵³. وفي سنة 579 هـ جدد أبو يعقوب استدعاء العرب بإفريقية ووافاه أبو محمد بن إسحاق بن جامع بحشودهم، ووضع في مقدمة جيشه هتانة وتتمل، وحشود العرب وأجاز إلى الأندلس في صفر 580 هـ⁵⁴.

أما في عهد يعقوب المنصور 500 - 595 هـ / 1184 - 1199 م فقد بايعته بعض القبائل العربية الهلالية، ولكن خلال فترة حكمه واجه مشاكل صعبة مع بني

غانية، غدا امتد نفوذهم إلى بجاية وإفريقية، وتقوى يحيى بن غانية⁵⁵، بعدما انسحب العرب من صفوف الموحدين لينظموا إلى بني غانية، وبما غنمه في مخازن بجاية اكتسب العرب أكثر، بعدما وزع عليهم الأموال والأسلحة، كما تحالفوا مع الممالك الغز الوافدين من مصر بقيادة قراقوش⁵⁶. وصار بذلك العرب غصة في حلق الموحدين بعدما كانوا شوكة يستخدمونها. ولذلك كان المنصور يسيء الظن بعرب المغرب، حتى أنه استبعد تجنيدهم في جيشه حينما قرر غزو قفصة سنة 583هـ للمرة الثانية، بعدما هزمته القوات المتحالفة من الممالك وبني غانية والعرب بغمرة⁵⁷، من أعمال قفصة للمرة الأولى، وذلك بعدما تخلت العناصر العربية عن جيشه.

وبعد استيلاء المنصور على قفصة في شعبان 583هـ/1187م قتل الكثير من العرب⁵⁸، واستولى على قابس ثم توجه إلى بلاد الجريد متتبعا فلولهم مع بني غانية، حتى ألجأهم إلى صحاري برقة فجاءوا تائبين خاضعين. وقام المنصور بعدها بنقل قبائل هلال بن عامر وجشم بن معاوية المتسلطين المستقرين بإفريقية إلى المغرب الأقصى⁵⁹. وقبل أن يعود المنصور إلى المغرب أقام بالمهدية ريثما وضع القوانين اللازمة لتنظيم أقطاعات القبائل العربية بإفريقية⁶⁰. وهذا يبين إدراك المنصور لأهمية الاسترزاق في تجنيد القبائل العربية وولائهم، لأن سبب تخليهم عن الموحدين والتحاقهم ببني غانية، الموال التي درها بنو غانية عليهم، وهذا يجعلنا نميل إلى أن جموع القبائل العربية كانت قسما من المرتزقة في جيش الموحدين⁶¹، بما في ذلك عرب الأندلس الذين انضموا إلى الجيش الموحي أيضا. ويظهر أنه في عهد الناصر انتكست صورة التحالف الموحي العربي، وكثرت ثورات العرب الذي تحالفوا مع يحيى بن غانية وحاولوا بسط سلطانهم على مدنها. يذكر ابن عذاري⁶² أن الناصر أرسل جيوش الموحدين بقيادة أبي الحسن بن أبي حفص، ومعظم جنوده من القبائل العربية، وتقابل الجيشان بناحية قسنطينة، وانهزم الجيش الموحي بسبب خيانة العناصر العربية التي أفشت أسرار مضاربه، وانسحابها المفاجئ من المعركة مندية بوقوع الهزيمة، ومغيرة

على مضارب قائد الجيش لتسلبه ماله وأثاثه. ولعل السبب هو تحرك النعرة القبلية عند هؤلاء العرب ضد الموحدين ولمناصرة خصوم الموحدين من العرب فعلوا ذلك.⁶³

ومهما يكن الأمر فإن دور العرب في الجيش الموحي هام، خاصة في حروب الأندلس، والدلالة على ذلك أنه قتل في معركة واحدة ضد ابن مردنيش سبعة من شيوخ العرب منهم: "ابن ميمون، وحباس بن الرومية، وابن الزحاموس، وابن الزيات، وأبو قطران، وأبو عرفة و القائد معرف"⁶⁴.

وأشاد بذلك القائد الموحي أبو حفص وأخوه عثمان، ووزع رسالة على الطلبة وشيوخ أعيان الموحدين بأشبيلية، يزف إليهم النصر مادحا بقوله: "وفي خلال مقام تلك الأيام، تبعثت خيل مباركة من الموحدين والعرب لشن الغارة على الميمنة و الميسرة، وحملت الروم حملتهم المعهودة، وصدمت جملتهم، إذ صمدت قبيلة رياح من العرب، والتفت عليهم الموحدين، فصبروا صبرا مثاليهم، واحتدمت الحرب وحمي الوطيس، وأجفل الكفرة منهزمين، والسيف يأخذ منهم فوق ما يدع، وكتب في العشرة الوسط من ذي الحجة خمسمائة وستون هجري"⁶⁵.

ومن جهة أخرى نجد العدد الهائل من العرب في الجيش الموحي، فقد ذكر المراكشي عددهم خمسة آلاف فارس⁶⁶، وذكر ابن أبي زرع: "أن الجيش الموحي على عهد عبد المومن ثلاثمائة ألف، منهم ألف راجل أغلبهم من القبائل العربية"⁶⁷، أما صاحب المن بالإمامة فشبههم "بالحصى والذباب التي لا تحصى من كثرتهم"⁶⁸ وربما نجد أرقاما أخرى عن عدد جيوش العرب ولكننا نرجح أن عددهم لم يتجاوز عشرة آلاف، بالإضافة إلى القوات المتطوعة التي كان يستدعيها الخلفاء الموحدون في الظروف الطارئة.

والخلاصة أن سياسة الموحدين التي رسمها عبد المومن وسار عليها أبناءه من بعده، مبنية على تحريض العرب ودفعهم إلى الجهاد في الأندلس، وذلك لضرب عصفورين بحجر واحد، حيث يرتاح الموحدون من المشاكل التي يسببها العرب في إفريقية، ويدكون بهم أيضا حصون النصارى في الأندلس، وبذلك

تتقل المعركة من المغرب إلى الأندلس حتى يمكن مراقبتها جيدا، وينال تأييد العلم الإسلامي باعتباره يجاهد في الأندلس عن طريق توجيه جيوشه نحو النصرارى في الشمال.

الفرق الأجنبية الأخرى :

ضم الجيش الموحي فرقاً من اللفي الأجنبي⁶⁹ ، وعلى أساس غير متجانس أحيانا⁷⁰ ، وكانت هذه الفرق مكونة من:

الإفرنج (الروم) : الموحدون مثل المرابطين استكثروا من النصرارى في جيوشهم كفرق خاصة وحرس لدى الخليفة⁷¹ ، ويذكر ابن خلدون في المقدمة: أن خلفيات ذلك تعود إلى طريقة العجم في القتال، لأن صفة الحروب الواقعة بين الخليفة على نوعين أ- نوع الزحف صفوفاً ب- نوع بالكر والفر. " فالزحف هو قتل العجم كلهم على تعاقب أجيالهم، أما الكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب"⁷². وقاتل الزحف أوثق وأشد من قتال الكر والفر، ذلك لأن قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القدح، أوصفوف الصلاة، ويمشون بصفوفهم إلى العدو قدما، فلذلك تكون أثبت عند المصارع، وأصدق في القتال وأرهب للعدو، لأنه كالحائط الممتد والقصر المشيد لا يطمح في إزالته. وفي التنزيل قال تعالى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ، صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ ﴿٢﴾⁷³ ، أي يشد بعضهم بعضا بالثبات، ومن هنا تظهر حكمة إيجاب الثبات وتحريم التولي يوم الزحف. أما قتال الكر والفر، فليس فيه من الشدة والأمن من الهزيمة، لأنهم يتخذون وراءهم مصافا يلجؤون إليه، ويقوم لهم مقام الزحف.

"ولهذا اتخذ ملوك المغرب المرابطون ثم الموحدون بعدهم طائفة من الإفرنج في جندهم، واختص بذلك ملوك المغرب لأن قتال أهل وطنهم كله بالكر والفر. فشكّلوا منهم الحرس الخاص، ويرتّبون مصافهم المحدث بهم. هذا على فيه من الاستعانة بأهل الكفر، وإنما استخدموا ذلك للضرورة أي التخوف من الإجفال على مصاف السلطان، والإفرنج أثبت في ذلك لأن عادتهم في القتال الزحف"⁷⁴.

والملاحظ أن الموحيدين وقبلهم المرابطين استعملوا الإفرنج في حرب أمم العرب والبربر للسيطرة على المغرب⁷⁵ ، أما الجهاد فلا يستعينون بهم حذرا من ممالاتهم على المسلمين. وقد بدأ الموحدون يضمون إلى صفوف جيشهم العجم في وقت مبكر، إذ تذكر بعض المراجع أن المهدي بن تومرت ضم إليه فرقا مكونة من الفرس والأكراد والنصارى إلى جانب الفرق التي كانت مكونة من أهالي البلاد⁷⁶ .

وفي سنة 543هـ استعان عبد المومن بطائفة من النصارى في جيشه لإخماد التمرد الذي قام به "الماسي"⁷⁷ في بلاد سوس، كما استعان بهم سنة 554هـ، في محاربة النورمان وطردهم من تونس⁷⁸ ، ويرجح أن عددا من هؤلاء النورمان انضم إلى جيش الموحيدين، لأن عبد المومن حاصر المهدي حصارا شديدا مدة ستة أشهر حتى استسلم من بها من النورمان في العشر محرم سنة 555هـ / 1160م⁷⁹ .

وهكذا كان عدد النصارى يتزايد في الجيش الموحيدي كلما تطورت الأحداث وكثرت الحروب، فاستعملوا قوات من النصارى في حروبهم مع قراقوش⁸⁰ . وصارت لهم مكانة هامة في أواخر الدولة الموحدية، حتى وصل بعضهم إلى مراكز القيادة في الجيش، مثل "دنب" المذكور آنفا⁸¹ . والأكثر من ذلك صاروا قوة ضاغطة ومؤثرة في الصراعات الداخلية للأسرة الموحدية حتى استعان بهم بعض الأمراء للحفاظ على ولاية العهد أو فرض أو فرض السلطة الشرعية. فلما أراد أشياخ الموحيدين خلع المأمون⁸² وقدموا يحيى بن الناصر، تحرك عند ذلك المأمون إدريس إليهم من أشبيلية، وقد استركب طائفة ضخمة من فرسان الروم، وكانت بينه وبين يحيى حرب صعبة انهزم فيها يحيى بن الناصر، وفر إلى الجبل واستولى المأمون على ملك مراکش سنة 524هـ، ويذكر القلقشندي أنه بلغ عدد هؤلاء الروم في جيش المأمون أثنى عشر ألف مقاتل⁸³ .

الأغزاز : ذكرت المصادر أنهم كانوا محاربين أقوياء وأشداء⁸⁴ ، ودخلوا إلى المغرب بعد منتصف القرن السادس الهجري في مجموعتين⁸⁵ .

- المجموعة الأولى بقيادة فراقوش الأرميني الذي تحالف مع عرب ذياب ورياح وزواوة، وتمكنوا من الاستيلاء على طرابلس.

- المجموعة الثانية بقيادة إبراهيم بن فرانكلين التي أحبت أن تقدم خدماتها للجيش الموحيدي.

بدأ تجنيد الأغزاز منذ عهد عبد المومن كجنود مرتزقة أو مبتاعة على تعبير القلقشندي⁸⁶، وذكر Terrasse أن Aghzaz كان لهم امتياز أخذ مرتباتهم كل شهر، في حين فرق الموحدين لا يأخذون مرتباتهم إلا كل أربعة أشهر⁸⁷، وهذا يدل على مكانتهم التي لا تفسير لها حسب ما نرى إلا قدراتهم القتالية والحاجة لها.

وازداد تقديم الأتراك في الجيش الموحيدي في عهد يعقوب المنصور⁸⁸، حيث شاركوا في القوة التي أرسلها إلى قفصة، وذكر ابن الأثير: "أن جماعة من الترك خامدوا عليهم فانهزم الموحدون أمام ابن غانية"⁸⁹، ولكن بعد حصاره لقفصة طلب الترك الذين فيها بالأمان لأنفسهم ولأهل بلدهم فأجابهم، وعفا عنهم ورتبهم شعبان، واستألفهم وضمهم إلى جنده وسيرهم إلى الثغور لما رأى من شجاعتهم ونكايتهم في العدو⁹⁰. كما وجد في الجيش الموحيدي كثير من الأكراد والصقالبة والفرس إلى جانب الأغزاز الذين جاؤوا بهم إلى مصر.

الزواج: ويتكونون من استخدمهم المرابطون من قبل⁹¹، كما جلبوا من منطقة السودان الغربي وكانوا يشكلون قوة احتياطية في الجيش الموحيدي⁹²، ثم اتخذ منهم يوسف بن عبد المومن حرسه الخاص، نظرا لما تمتعوا به من إخلاص وقوة في القتال.

وكان الخليفة يوسف بن عبد المومن يثق فيهم أشد الثقة، ويلبسهم ثيابا مصنفة بالألوان⁹³، وإذا خرج جعلهم لحمايته و الذود عنه. ذكر السللاوي، أن النصاري تربصوا له لقتله بعيدا عن حشمة العبيد، فيقول: "فلما طلعت الشمس، وتطلع النصاري المحاصرون على المحلة من البلد، ورأوا أمير المؤمنين منفردا في عبيده وحشمة خرجوا إليه فقتلوه"⁹⁴. وهكذا بقدر ما كان عدد هؤلاء الأجانب يزداد، يتناقص جند المصامدة، فكان الجيش الموحيدي يفقد تدريجيا حماسه الجهادية ليصبح جيشا محترفا يعتمد على المرتزقة.

ورغم تنوع العناصر الأجنبية إلا أن الموحيدين تجنبوا إدخال اليهود في تنظيماتهم العسكرية بدافع الحذر منهم، وفرضوا عليهم لباسا خاصا يميزهم بين الطبقات الشعبية يقول ابن صاحب الصلاة: "وفي سنة خمسمائة وتسعون هجرية، أمر المنصور اليهود بعمل السوكة، وجعل قميصه طول ذراع وجعل لهم برانس وقلانس زرق"⁹⁵.

والخلاصة أن الجيش الموحيدي تكون من عناصر متنوعة، ولهذا كلما ازدادت العناصر القبلية والأجنبية داخل الجيش كلما زادت الروح العسكرية ضعفا فكان ذلك من أسباب تدهور الجيش الموحيدي وعوامل سقوط الدولة الموحدية.

1المراكشي (عبد الواحد بن علي) (ت 669هـ/1270م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبط وتصحيح ونشر محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة القاهرة 1368هـ/1949م، ص192.

2 Mahfoud. Kaddache ; L'Algérie médiévale, S N D Alger 1982 p 127

3 العبر، ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) (ت 808هـ/1406م) العبر وديوان المبتدأ والخبر - تاريخ العلامة ابن خلدون - والمقدمة. طبعة مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ط1399هـ/1979م، ج6 ص 469.

4R. Bourouiba. Ibn Tumert, S N D Alger 1974 p56

5H. Terrasse ; Histoire du Maroc, Edition abrégée Paris 1952 p88

العبر، ج 6 ص 6470

7 استجدت خاصة بقبيلتي هنتانة وتممل، راجع العبر، ج6 ص470.

8 ابن أبي زرع (أبو الحسين عل بن عبد الله الفاسي) (726هـ/1325) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس . مطبعة فاس 1305هـ، ص 249، 250.

9 "أختار من هنتانة أبو حفص بن عمير بن يحيى وأبو يحيى بن بكيت ويوسف بن وانودين وابن يغمور، ومن تممل أبو حفص عمر بن علي ومحمد بن سليمان وعمر بن تافرانين وعبد الله بن ملويات" العبر، ج6 ص 469.

10 المعجب، ص340

11 العبر، ج6 ص 464، 462.

12 المعجب، ص340.

13 ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) (594هـ - 1198م) المن بالإمامة على المستضعفين بأن يجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين، استخرجه من مخطوط أكسفورد بإنجلترا عبد الهادي التازي وحققه، دار الأندلس بيروت، ط1 1383هـ/ 1964م، ص 281.

14 يقول ابن خلدون: "كان لهسكورة بين الموحدين مكانا واعتازا بكثرتهم وغلبيتهم، إلا أنهم كانوا أهل بدو، وكان جبلهم الذي أوطنوه من حالة دون القنة (القمة) العبر، ج6 ص552 والمعجب، ص340.

15 أشباخ (يوسف) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر القاهرة 1377هـ/، ص486.

16 العبر، ج6 ص 471 وانظر شليبي: التاريخ الإسلامي، ج4 ص 186.

17 "كتم عبد المومن وأصحابه خبر وفاة المهدي خوفا من سخط المصامدة ضد ولاية عبد المومن بن علي لكونه من غير جلدتهم، فأرجئوا إذاعة خبر الوفاة إلى أن يخالط بشاش الدعوة قلوبهم، ودفنوا المهدي داخل الدار، وكان عبد المومن وأصحابه يدخلون إلى مدفته، ويعقدون الجلسات وتتخذون القرارات، ثم يخرجون على أنها إرشاد ابن تومرت، فلما تمكن له أمر الدعوة وتمت المصاهرة بين عبد المومن و الشيخ أبي حفص أمير هنتانة وكبير المصامدة، أعلنوا موت المهدي، واستقر الأمر لعبد المومن" عبد الله علي غلام: الدولة الموحدية في المغرب، ص 227.

18 قال السلاوي : " همت طائفة من الموحدين بقتله ، وأخطئوا فقتلوا شيخ من أشياخ الموحدين بين يديه " اجمع : (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) ت 1315هـ / 1897م الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق ولدي المؤلف ، جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب دار البيضاء ، ط 1934 ، ص 140.

19H. Terrasse ; Histoire du Maroc, p88

20R. Bourouiba ; AbdalMumin, p 70

21 ونفس العدد يذكره صاحب الاستقصا ، ج 2 ص 142 (وكان موطنهم المغرب الأوسط)

22 روض القرطاس ، ج 2 ص 165 ، 166 ، الاستقصا ، ج 2 ص 142.

23H. Terrasse ; Histoire du Maroc, p88

24R. Bourouiba ; AbdalMumin, p 71

25 ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 477

26 أبو ضيف مصطفى أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982 ، ص 88.

27 العمري بن فضل الله : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق دورونيا كرافوسكي ، المركز الإسلامي للبحوث ، ط 1406 / 1985 ، ص 184.

28R. Bourouiba ; AbdalMumin, p 70

29 مصطفى أبو ضيف: نفس المرجع ، ص 70.

30 مصطفى أبو ضيف: نفس المرجع ، ص 71.

31المن الإمامة ، ص 437.

32المن الإمامة ، ص 143.

33المن الإمامة ، ص 418.

34المن الإمامة ، ص 507.

35 مصطفى أبو ضيف: نفس المرجع ، ص 71

36 فعقد لأبي الجليل أو أبي الحليل بن شاكر بن يصلان على عرب الأثيج ، والحباس بن مشيغر على عرب جشم. أبو ضيف : نفس المرجع ، ص 71.

37 نخبه من الأساتذة : الجزائر في التاريخ - العصر الإسلامي - ط الجزائر 1984 ، ج 3 ص 306.

38 مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق ، ص 72.

39 منهم (دليل بن ميمون ، وحباس بن الرومية ، وابن الزحاموس ، وابن الزيات ، وأبو قطران ، وأبو عرفة ، والقائد بن معرف) البيهقي: ص 116.

40 الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص 13 ومبارك الملي: تاريخ الجزائر في القيم والحديث ، ص 677.

41 فاستولى على قايس من بني كامل بن رياح ، وقصصه من بني الورد ، وطريقة من مدافع ابن علال ، وجبل زغوان من حماد بن خليفة ، وشقنبارة من بني عباد بن نصر الكولاعي ، والأريس من بني فتان العربي ، وبنزرت من عيسى بن مغرب بن طرادين ورد اللخمي حتى قال عبد الملك بن عياش القرطبي قصيدة في التمديد بهزيمة عرب رياح أمام عبد المؤمن مما جاء فيها: مصطفى أبو ضيف: نفس المرجع ، ص 73 ، 74.

إنما بعثت من جيشها نفلًا القيسو بنفسه في كف منتهب

صدرت بالعرب العريان وانقلبت عني الحسام رياح شر منقلب

- 42 ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الجزري) ت 630 هـ / 1233م : الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة والنشر، ط 1386 هـ / 1966م، ج 9 ص 65.
- 43 الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي) ت بعد 932 هـ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة تونس، ط 1966، ص 13.
- 44 بالقرب من وهران.
- 45 الكامل في التاريخ، ج 9 ص ص 65 66
- 46 المن بالإمامة، ص 44 "وهذه الكثرة أمر طبيعي ربما لأن الهجرة الهلالية في القرن الحادي عشر الميلادي قدرها بعض المؤرخين بمائتي ألف من البدو من مصر إلى الجزائر وتونس.
- Guernier. Engere ; l'Apport de l'Afrique à la pensée humaine-payot Paris 1964 : p 197
- 47 العبر، ج 6 ص 276.
- 48 M'rabet. Mohamed Ali et autres ; Histoire de la Tunisie, le Moyen-âge , société Tunisienne de diffusion. p197.
- 49 أبو بكر بن طفيل من مشاهير الأطباء وأهل الحذق والنظر في العمليات الجراحية توفي سنة 581 هـ، وهو مؤلف كتاب "رسالة حي بن يقظان" ، راجع روض القرطاس، ج 2 ص 76
- 50 المن بالإمامة، ص 437.
- 51 ونسب المراكشي هذه القصيدة للخليفة عبد المومن نفسه، المعجب ص 225، 226.
- 52 المن بالإمامة، ص 441
- 53 ويذكر أن العرب أجابوا بالطاعة إلا زعيم قبيلة بني رياح وهو - جبارة بن أبي قيس- كان قد فر إلى بلاد المشرق وطاف في مصر والحجاز واليمن للحصول على عون الحكام هناك، لكنه عاد خائبا، لم يجد بدا من اتباع بني عمه من العرب، فجمع قلبه ولحق بالموحدين. العبر، ج 6 ص 497.
- 54 ابن خلدون: العبر، ج 6 ص 500، 502.
- 55 بنو غانية: وهم بقايا المرابطين في الأندلس، من قبيلة مسوفة الصنهاجية، عرفوا ببني غانية على اسم أهم غانية، كانوا يحكمون ولاية دانية، ثم انتقلوا إلى جزر البحر المتوسط، ووصلوا في غزوهم إلى سواحل قطلونيا وجنوب فرنسا. وكانوا يهادنون الموحدين ويدارونهم بالهدايا والموال، تجنبوا لخطرهم. وفي سنة 579 هـ خرج محمد بن غانية إلى بلاد الروم غزيا فاستشهد هناك، وتولى بعده ابنه علي، فراسلته جماعة من مدينة بجاية، فاستغل بنو غانية وفاة الخليفة أب يعقوب" وانشغال قوات الموحدين بالأندلس، وهاجم أخوه "يحي" بجاية واستطاع بالتحالف مع عرب بني هلال وسليم التوسع في بعض أجزاء إفريقية، وبدا أن دولة المرابطين ستبعث من جديد معتمدة على العصبية العربية" راجع: (أحمد مختار) دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية للطباعة والنشر والتوزيع د ت ط، ص 231 232.
- 56 المراكشي: المعجب، ص 176، 179.
- 57 وعند ابن خلدون: غمرة. العبر، ج 6 ص 244.
- 58 تاريخ الدولتين ص 16.
- 59 فنزلت قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الأثيج على ساحل البحر الأخضر (المحيط الأطلسي) ونزلت قبائل جشم بلاد تامسانا البسيط ما بين سلة مراكش في أواسط المغرب الأقصى، راجع القبائل العربية في المغرب، ص 83.

- 60 ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي) ت 712هـ: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الرابع، تحقيق إحسان عباس، ط بيروت 1967م، ج 4 ص 110 والاستقصا، ج 2 ص 144.
- 61 وخاصة من عرب الخلطوحسن وشييانة ومن بلاد تلمسان، مثل سويد بنو عامر ورياح وغيرهم، انظر دائرة المعارف الإسلامية، وزارة المعارف العمومية د ت ط مادة جيش المجلد السابع ص 217
- William. C.Athinson ; Histoire d'Espagne et du Portugal . Paris 1975 . p60
- 62 البيان المغرب، ج 4 ص 194، 195.
- 63 مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق، ص 84.
- 64 البيهقي (أبو بكر بن علي الصنهاجي) ت 6هـ / 12م : أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط 1986، ص 116 - 126.
- 65 المن بالإمامة، ص 281.
- 66 المراكشي : المعجب، ص 160.
- 67 روض القرطاس، ج 2 ص 132.
- 68 المن بالإمامة، ص 144.
- 69 التاريخ الحربي للمغرب، مجلة دعوة الحق، عدد 8 سنة 1960، ص 60.
- 70 عبد القادر جفلول : مقدمات في تاريخ المغرب العربي، ترجمة فضيلة الحكيم، دار الحداثة للنشر لبنا، 1982 ص 67.
- 71 مؤلف مجهول الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق السيد البشير الفوزي، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس ط 1 دون تاريخ، ص 110. وراجع القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) ت 821هـ / 1418م : صبح الأعشى في صناعة النشا، مطبعة الميرية القاهرة، 1332هـ / 1914م ج 5 ص 136، وكتاب العبر، ج 6 ص 546.
- 72 ابن خلدون : المقدمة، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1979 ص 480.
- 73 سورة الصفا الآية : 4.
- 74 ابن خلدون : المقدمة، ص 483 - 486
- 75 ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد) ت 776هـ / 1374 : رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية (حاضرة تونس المحمية) ط 1316هـ، ص 88.
- 76 التاريخ الحربي للمغرب، مجلة دعوة الحق، عدد 8 سنة 1960، ص 30؛ صبح الأعشى، ج 5 ص 137.
- 77 "هو محمد بن عبد الله بن هود الماسي، ادعى الهداية وتسمى بالهادي اقتداء بالمهدي" انظر الحلل الموشية، ص 110.
- 78 زامباور : معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دار الرائد العربي بيروت، ط 1400هـ / 1980م ص 53
- 79 المطوي محمد العروسي : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط 1982، ص 225.
- 80 جوليان شارل أندري : تاريخ إفريقيا الشمالية، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس 1398هـ / 1987م، ج 2 ص 162.
- 81 العبر، ج 6 ص 246.

- 82 رقم الحل، ص 82؛ وذكر ابن الخطيب : "استصحب المأمون جمعا من فرسان الروم (الأسبان) واستجاز البحر سنة 626هـ" راجع الإحاطة، ج 1 ص 419.
- 83صبح الأعشى، ج 5 ص 137، وحركات : المغرب عبر التاريخ، ج 1 ص 327.
- 84 ذكر التادلي : "أنهم أقوام يضفرون شعورهم كالنساء" كتاب التشوف إلى رجال التصوف، ط الرباط 1377هـ/1958م، ص 349.
- 85جمال الدين : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ص 295، 323: والعجب، ص 177؛ صبح الأعشى، ج 5 ص 137.
- 86صبح الأعشى، ج 5 ص 137
- 87H. Terrasse ; Histoire du Maroc des origines, p232
- 88 إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، المجلد الأول، دار السلمي بدار البيضاء المغرب، ط1، 1384هـ/1965م ج 1 ص 327.
- 89الكامل في التاريخ، ج 9 ص 172.
- 90 البيان المغرب، ج 4 ص 110، والاستقصا، ج 2 ص 144.
- 91 حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 4 دار النفائس الأندلس، بيروت ط1 1967، ج 4 ص 371.
- 92H. Terrasse ; Histoire du Maroc des origines, p232
- 93 المن بالإمامة، ص 16 وانظر، R. Bourouiba ; AbdalMumin ; p70
- 94الاستقصا، ج 2 ص 155.
- 95المن بالإمامة، ص 16.